بسم الله الرحمن الرحيم

هذه صفحات كتبها علّامة الجزيرة الشيخ حمد الجاسر -رحمه الله- عبر عدد من المؤلفات والمقالات، نجد بها أقواله الصريحة في أصل نسب قبيلة حرب إلى حرب بن سعد بن الملك سعد بن خولان، وكذلك ثنائه ودفاعه عن مؤلف كتاب الإكليل لسان اليمن الهَمْداني -رحمه الله-، فعلاقة الشيخ الجاسر مع كتاب الإكليل قديمة وتعود لحقبة الخمسينات من القرن الرابع عشرة الهجري (قبل 95 سنة تقريباً) من قبل أن يحقق الكتاب بقرابة العشرين عام. ومع ذلك نرى صاحب التوهمات (ابن طما المنقاشي) يصر على تكرار ذكر بعض أقوال الشيخ الجاسر التي توافق توهماته على الرغم من أنها أقوال يُفهم منها عدم تيقن الشيخ الجاسر من صحتها، كأقواله في دخول فروع من كنانة ومزينة وخزاعة في قبيلة حرب دون أن يسمي -رحمه الله- في أي فروع حرب دخلت هذه القبائل. ومع ذلك نرى صاحب التوهمات يتجاهل كل أقوال الشيخ الجاسر الصريحة التي تخالف أساس توهماته، وهو الطعن في نسب قبيلة حرب إلى خولان، والادعاء بأن كتاب الإكليل مزوّر، وكذلك الطعن في الأمانة العلمية لكل من مؤلف الإكليل الهَمْداني ومحققه الأكوع -رحمهما الله-، حيث نجد الشيخ الجاسر وحتى آخر مؤلفاته: (كتاب بلدة البرود) يؤكد على أصل نسب قبيلة حرب إلى خولان، وينقل عن كتاب الإكليل النصوص التي يدعي صاحب التوهمات أنها مزورة وغير صحيحة.

وما يفعله صاحب التوهمات من تكرار نقل هذه الأقوال للشيخ الجاسر فيما يخص دخول فروع من قبائل العهد النبوي في قبيلة حرب الخولانية، والتي يمكن أن نطلق عليها أنها أقوال "ظنية"، ما هو إلا دليل إدانة جديد على أن صاحب التوهمات لا يبحث عن الحقيقة، وكل ما يبحث عنه هو تشتيت فروع قبيلة حرب واثبات أنها مجرد أحلاف لقبائل العهد النبوي لا يجمعها نسب واحد.



عن أبي عَليّ هارُون بن زَكَريا الهَجَريّ

دراسة ومختارات

القسم الرابع : النسب

ترتيب

حَمَد الجاسِر

بَنُو حَرَام مِنْ نَـهْـد

أَنْشَدَنِي مُـولَّدٌ مِنْ أَهْل الهُجَيْرَة مِنْ نَهْدٍ، ثُم لِبَنِـي حَرَام، لِمُزاحم العُقَيْلِيِّ - وَأَوْرَدَ قَصِيدَة - (١).

الحَرْبِيُّ مِنْ خـولان

وَأَنْشَدَنِي المُسَلَّمُ بنُ أَحْمَدَ بن يَزِيدَ بنِ عبد الله بنِ الخِيَارِ الحَرْبِي، لِمحَمَّد بن القَضِم بن زَيْدٍ البَكَّائِيِّ صَاحِب صُبَيَّة - وَأَوْرَدَ لَهُ شِعْرًا (٢).

حَـرْب مِنْ مَذْحِجَ

وَأَنْشَدَنِي لأَبِي يَزِيد الحَرْبِي مِنْ سَعْدِ أَوْدٍ يَقُولها لأَصْبَحَ حِينَ قَتَلُوا أَبَاهُ وَأَدْرَكَ بِثَأْرِهِ - ثُم أَوْرَدَ شِعْرًا (٣).

---

(١) : (٢٤٤م) نَهْد هَاؤُلاَء مِنْ بَنِي زَيْد بن لَيْث بن سَوْدِ بن أَسْلَم بْن الحَافِ بن قُضَـاعة انظر في تَفْصِيلِ فُرُوعِهِم «العرب» - س ٢٤ ص ١٨٥ - وَقَدْ تَفـرَّقَتْ مَنَازِلُ هَذِهِ الفُـرُوع فَمِنْهَا مِنْ انتقل إِلَى الشَّام، ومنهـا من اسْتَوْطَن شَرْقِيَّ سَرَاة جَنْب، فاختلط بِقَبِيلَة مَذْحِج المَعْرُوفَة الآن باسم (قَحْطَان) في بلادها وادي تَثْلِيث وَمَا حَوْلَهُ حَيْثُ كَان فَرْع كَبِير مِنْ بَنِي نَهْد بَجِلٍ في طَرِيب وَذَات القَصَص وكُتْنَة وتَثْلِيث وَجَاش وَمَرِيع وَعَبَـالم والهُجَيْرَة، كَمَا أَوْضَحَ الهَمْدَانِي في «صفة جزيـرة العرب» - ص ٢٥٣ - قَالَ: وَمِمَّنْ يَسْكُن هَذِه البِلاَدَ مِنْ قَبائل نَهْد مُعَرِّف وَحَرام وَهِيَ أَكْثَر نَهْدِ ثم عَدَّ فُرُوعًا أُخْرَى من النَّهْدِيين وَيَبْدُو أَنَّ قِسْمًا كَبِيرًا من بَنِي نَهْد انتقلوا إلى نَوَاحِي حَضْرَمَوْت في شرق اليَمَن حَيْثُ لاَ يَزَالُون يحلون تلك الجهات. وَيَبْدُو أَنَّ بَنِي حَرَام كَانُوا في القَرْن الرَّابِع ذَوِي شُهْرَة حَيْثُ وصفهم الهَمْدَاني بأنهم مِنْ أكثر فُرُوع نَهْد، والهُجَيْرَةُ يُعرف موقعها، وَقَدْ تَغَيَّر اسمها فَصَارَتْ تُعْـرَف باسم (الجُعَيْفِـرَة) - انظر كتاب «الجَوْهَـرَتَيْن» - ص ٤٢١ - وَلاَ تَزَلْ قَبِيلَـة بَنِي نَهْد مَعْرُوفَـة في المملكة وفي اليمن.

(٢) : (١٤م) أَوْضَح الهَمْدَانِي في «الاكليل» - ج ١ ص ٢٩٨ - وَمَـا بَعْدَهَا نسب بَنِي حَرْب وانهم مِنْ بَنِي سَعْـد بن سَعْد بن خولان. وَذَكَـر نسب الخِيَار عَلَى هَذَا النحو: الخِيَـار بن زِيَاد بن سلمان بن الفَاحِش بن حَرْب بن سَعْـد، مِنْ بَنِي الخِيَار العُبَيْدِيين وَهُم: بَنُو عبد الله بن الخِيَار وَزُبَيْد بن الخِيَار، والسَّفْرِ بن الخِيَار، وَقَال عَنْ السَّفْرِ بن الخيار: سَيِّدُهُم المُسَلَّم وَهُوَ يَسُود بَنِي الخِيَار كُلَّهَا.

وَيَظْهر أَنَّ المُسَلَّم هذا هُوَ الَّـذِي رَوَى عنه الهَجَرِي، فَالهَجَرِيُّ والهَمْدَانِيُّ مُتَعَاصِرَانِ، وَبَنُو حَرْب مِـنْ أَثْرَى القَبَائِل المعروفة الآن منتشرة فيما بَيْن المدينتين الكريمتين، وفي بِـلاَد نَجْد، وَقَـدْ دَخَلَتْ فيهَا فُـرُوع تَنْتَمِي إِلَى قَبَائِل أُخْـرى لَيْسَتْ قَحْطَانِيَة الأَصل، وتِلْك عادةُ كُلِّ قبيلة قوِيَّة يُحَالفها مَنْ هُوَ أَضْعَفُ مِنْهَا مِمن يُجَاوِرُها مِنَ القَبَائِل، ويختلط فيها.

(٣) : (٣١٨هـ) أَوْد هُـو ابن صَعْب بن سَعْـد العَشِيرَة مِنْ مَذْحِج، تَقَـدَّم ذِكره وَحَرب هُـو ابن سَعْد بن مُنَبِّـه بن أَوْد مِنْ أَبْنَائه عَامِـر ولقبه - الزَّعافِر - بن حرب وأَبْنَـاؤُه عَلَى ما ذكر ابن الكلبي: خَلاَوَةُ وَحُسَيْبُ ومرخة، وَيَظْهَـر أَنَّ هذه البطون كَانَتْ تُقِيم مَع إِخْوَتها مِنْ بَنِي سَعْدِ العَشِيرَة في نَوَاحِي تَثْلِيث.

بلدة (البـرود)

موقعًا ،وتاريخًا ،وسكانًا

مع تفصيل وافٍ عن منطقة السِّرِّ: القرى والسكان

تأليف

حمد الجاسر

من مطبوعات مجلة«العرب» هاتف ولاقط ٤٦٢١٢٢٣ الرياض -المملكة العربية السعودية

قبيلة حرب

قبيلة (حرب) قحطانية الأصل، يمنية على ما قرره قدماء النسابين ومحققوهم، ومن أشهر هاؤلاء علامة اليمن ونسابته الهمداني الحسن بن أحمد (٢٨٠ / ٣٥٠ تقريباً) في كتابه «الإكليل».

أما ما ورد في بعض المؤلفات كـ«جمهرة الأنساب» للإمام ابن حزم ومن جاء بعده من نسبة (حرب) إلى بني هلال فهذا خطأ ناشيءٌ عن توافق الأسماء، وعن كون قبيلة (حرب) لم تنتقل من اليمن للحجاز إلاَّ في عهد متأخر بالنسبة للبدء في تدوين أنساب سكانه في القرن الثاني الهجري، لهذا لم يذكر نسبها قدماء النسابين كابن الكلبي صاحب «جمهرة النسب» وغيره.

واسم (حرب) من الأسماء المألوفة عند العرب، ولهذا نهى عنه الرسول ﷺ بقوله: «أحب الأسماء إلى الله عبدالله وعبدالرحمن وأصدقها حارث وهمام وأقبحها حرب ومرة» أما اسم حرب الوارد في قبيلة بني هلال فيقصد به فرع صغير، ليس من فروع القبيلة الكبيرة بينما قبيلة (حرب) تفرق بني هلال كَثْرَةَ فروعٍ، وعدداً.

وهاهو نص ما ذكر الهمداني في «الإكليل»[1]: قال في تفريع أنساب بني سعد بن سعد بن خولان: (أولد سعد الحارث بن سعد وحرب بن سعد - وذكر آخرين - ثم قال: وأولد حرب بن سعد أربعة نفر: الفاحش، ومالكًا، وعامرًا، والفياض) واسترسل في تفريع أنساب حرب، وانتقالهم من شرق اليمن من نواحي (صعدة) سنة ١٣١ حتى بلغوا الحجاز، فانتشروا بين المدينتين الكريمتين مكة والمدينة في أول القرن الرابع الهجري، وذكر اتصالهم بالسادة الحسينيين في المدينة ومصاهرتهم لهم، بما يحسن للقارئ المتوسع في البحث الرجوع إلى نص كلامه.

أما خولان جد سعد هذا فهو كما أوضح الهمداني نسبه: سعد بن خولان بن عمرو بن حيدان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة بن مالك بن حِمْيَر بن سبإ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، ثم ساق نسب قحطان إلى نوح، ثم إلى آدم، بما لا حاجة للتوسع في ذكره، إذ الغاية إثبات نسب حرب إلى قبيلة قحطان المشهورة.

---

(١) ج١ ص٢٩٨.

المبحث الثالث: فروع قبيلة حرب

انتشرت قبيلة حرب في تلك البلاد وكثرت فروعها، وغلبت السكان المنتشرين هناك، بحيث دخل أغلبهم في القبيلة نفسها، وكانت لهم السيطرة على هذه البلاد إلى عهد قريب كما هو معروف، ومن أشهر فروع القبيلة بنو سالم ومسروح على ما ذكر البلادي[1]، وتنقسم بنو سالم إلى: ميمون، ومُرَوَّح، وتنقسم مسروح إلى: بني عمرو وزُبيد، وعوف، وبني علي، وبني السفر، وقد ذكرت هذه الفروع في موادها، وليس صحيحاً القول: أن أكثر حرب من العدنانية، وأنها غير منحدرة من سلالة واحدة، وهي أقوال درج عليها بعض الباحثين المتأخرين فقالوا: هي مجموعة متحالفة، وقال بعضهم: هي من هلال بن عامر، وغير ذالك، وكل هذه الأقوال غير صحيحة.

وقال عن الجبور[2]: الجبور والنسبة إليهم جبري ومن فروعهم:

أ- الكراشيف: ومنهم الفروم أمراء بني علي.

(١) «معجم معالم الحجاز» ص ١٠٠ - ط. سنة ١٣٩٩هـ.

(٢) «نسب حرب» - ص ٥٥ ط. سنة ١٣٩٩هـ.

الجزء الرابع	المجلد الخامس والعشرون

مجلة المجمع العلمي العربي

١ تشرين الاول سنة ١٩٥٠	١٧ ذو الحجة سنة ١٣٦٩

اتجاه الأدب الحديث الى الريف

الحياة الريفية : وهي تشمل كلّ ما يتعلّق بالقرى وأحوال سكانها .
وقد كان من الممكن الحاقها بباب الاتجاه القومي لأن القرويين طبقة من طبقات الشعب . على أنّ للريف اتصالاً وثيقاً بالطبيعة ومن العسير جداً فصلها من الناحية الادبيّة . ولذلك رأينا أن نفرد لها هذا الفصل فنتحدث عن خصائص كلٍّ منها ومدى أثره في أدبنا الحديث وأوّل ما يسترعي انتباهنا أن الأدب العربي القديم لم يهتمّ اهتماماً خاصاً بالحياة القرويّة فهو اذا ذكرها ذكرها عَرَضاً في سياق غرض من الأغراض . كما فعل النابغة في داليته التي يعتذر بها الى النعمان فهو يقفُ قليلاً في دار ميّة واصفاً ما شاهده من آثارها . يقول :

وقفت فيها أُصيلاناً اسائلها	عيّت جواباً وما في الربع من أحد
الاّ الأواريَّ لأياً ما أبيّنها	والنؤي كالحوض بالمظلومة الجَلَدِ
رُدّت عليه أقاصيه ولبّدهُ	ضربُ الوليدة بالمسحاة في الثأدِ
خلّت سبيلَ أتيٍّ كان يحبسهُ	ورفّعته الى السجفين فالنضد

سبأ في كتابيه «صفة جزيرة العرب» و «الاكليل ج ١» ، وذكرها غيره من المتقدمين .

٥ — وفي ص ١٢٥٩ حرب قبيلة أكثرها من العدنانية — ولعلّ الأستاذ عوّل على رأي الأستاذ فؤاد حمزة في ذلك . ولقد ذكر الهمداني في الجزء الأول من الاكليل (ولا يزال مخطوطاً) كثيراً من فروع هذه القبيلة ، وعدّها قحطانية . أما من جاء بعد الهمداني كابن حزم والقلقشندي وغيرهما فالظاهر انهم لم يطلعوا على ما ذكره الهمداني من تاريخ انتقال هذه القبيلة من اليمن ، وما أشار إليه من أخبارها ، ولذلك فقد عدّوها عدنانية الجذم .

وأكتفي عند هذا الحد من ملاحظاتنا على «معجم القبائل العربية» ، متمنين لمؤلفه الأستاذ الفاضل تحرير الجزء [illegible] ، راجين له التوفيق والنجاح في خدمة تاريخ أمته وإحياء ما اندثر من مآثرها .

حمد الجاسر

معجم قبائل العرب القديمة والحديثة

(للأستاذ عمر رضا كحالة ٣ أجزاء صفحاتها ١٤٨٠ الطبعة الثانية بدمشق سنة ١٣٦٨)

هذا سِفْرٌ نفيس ، يهديه الأستاذ عمر رضا كحالة أمين دار الكتب الظاهرية بدمشق ، الى الخزانة العربية ، فيضيف علماً نافعاً ، ويبرز أثراً نفيساً .

قال الأستاذ في مقدمة كتابه ـ وحقاً ما قال ـ : (أصبح الباحثون في المباحث العربية أمام أمرين : إما أن تترك تلك الأبحاث لوعورة سبلها ، وتشتت موضوعاتها في مختلف الكتب المطبوعة والمخطوطة ، وإما أن تبحث بحثاً غير مُجْدٍ ، يعوزه كثير من أصول البحث والدرس . ولذلك يجدر بالمؤلفين أن يلجأوا الى وضع معاجم شتى ، تاريخية ، وأدبية ، تذلل للباحثين العقبات ، وترشدهم الى الطريق القويم ، لنحافظ على تراثنا الماجد ، ونساهم في بناء المجد العربي . ومعجمنا هذا هو أحد تلك المعاجم التي تعين المؤلفين والباحثين على الدرس والتنقيب ، وترشدهم بسهولة الى مطلبهم ، دون أن يتكبدوا عناء عظيماً ، ويضيعوا وقتاً طويلاً ـ ثم يقول الأستاذ ـ : يبحث معجمنا في القبائل العربية وأفخاذها قبل الإسلام وبعده ، الى عصرنا هذا ، في نجد ، والحجاز ، واليمن ، وحضرموت ، ومسقط ، والنواحي التسع القصية ، والعراق ، ومصر ، وسورية ، ولبنان ، وفلسطين ، وشرقي الأردن ، وإفريقية الشمالية ، وغيرها من البلدان العربية الإسلامية ، وقد ضمّنّا معجمنا عدداً كبيراً من العشائر وبطونها ، فذكرنا أصولها وفروعها ، ومساكنها وأوديتها ومياهها ، وقراها ومعابدها . ووثقنا كل مادة بالمصادر ، كما أثبتنا في آخر المعجم ثبتاً بأسماء المراجع ، يبيّن طبعاتها) .

وقد رجع الأستاذ في تأليف هذا المعجم الى كثير من أمهات كتب الأدب والتاريخ المعروفة ، وعدّ ـ في آخر الكتاب من ١٢٢٠ ـ ١٢٨٠ ـ المصادر

(١١) نصوص وأبحاث جغرافية وتاريخية عن جزيرة العرب

المغانم المطابة في معالم طابة

تأليف

مجد الدين أبي الطاهر محمد بن يعقوب الفيروزابادي
٧٢٩ - ٨١٧ هـ

(قسم المواضع)

تحقيق

حمد الجاسر
١٣٢٩ - ١٤١٥م

منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر - الرياض . المملكة العربية السعودية

فقال لي رجل من أهلها : أُنظر هل ترى نخلاً ؟! فقلت : لا ! فقال : هذا خطأ ، إنما هو النحل ونحل الوادي جانبه .

قال أبو زيد : وَدّان مِن الجحفة ، على مرحلة ، بينها وبين الأبواء ستة أميال [1] ، وبها كان في أيام مُقامي بالحجاز ، رئيس للجعفريين ، أعني [بني] جعفر بن أبي طالب ، ولهم بالفرُعِ وسَايَة ضِياع كثيرة وعشيرة ، وبينهم وبين الحسنيين حروب ودماء ، ولم يزل كذلك، حتى استولت طائفة من اليمن تُعرَف ببني حرب[2] على ضياعهم ، فصاروا حرباً لهم فضعُفوا .

ويُنسب إلى وَدّان الصعب بن جثّامة بن قيس الليثي الوَدّاني ، كان ينزله فنسب إليه ، هاجر إلى النبي ﷺ وروى عنه ابن عباس وشريح [بن عبيد] الحضرمي ، ومات في خلافة أبي بكر رضي الله عنه .

ووَدّان أيضاً : مدينة بالمغرب ، وجبل طويل [بين فيد والجبلين] .

---

(١) ونقل السمهودي (وفاء : ٢ / ١٧٢) عن الأسدي : ودّان ناحية عن الطريق بنحو ثمانية اميال ، ينزل به من لا ينزل الأبواء ، فمن اراده رحل من السُّقيا اليه وبه عيون غزيرة ، عليها سبعة مشارع ، وبركة قديمة ، ثم يرحل منه فيخرج عند ثنية هرشا ، بينها وبين ودان خمسة اميال ، وقد عمل لهذه الطريق اميال واعلام اقربها المتوكل . قلت – السمهودي – : وكلا الطريقين عن يسار طريق الناس اليوم ، بأسفل ودان وهي معطشة ، لا ماء بها إلا ما يحمل من بدر إلى رابغ . وذكر البكري (٩٥٤) الطريق من المدينة الى ودان هكذا باختصار : من المدينة الى ذي الحليفة ٦ أميال ، ومنها الى الحفير ٨ ومنه الى مَلَل ٨ ثم الى السيالة ٧ ثم الى الروحاء ١١ ميلا ، ثم الى الرويثة ٢٤ ميلا ثم الى الاثاية/١٢ ميلا ومنها الى العرج ميلان ، ثم الى السقيا ١٧ ميلا ومنها الى الابواء ١٩ ميلا – وربما عدل الناس عن الأبواء فساروا الى ودان وهي وراء الأبواء ، ناحية عن الطريق ، بينها نحو ثمانية اميال ، ومن ودان الى عقبة هرشا خمسة اميال ثم إلى الأصافر ميلان ، ثم إلى الجحفة . وفي رسالة عرام (٤١١) : ثم هرشا : وهو في أرض مستوية وهي هضبة ململمة لا تنبت شيئاً ، أسفل منها ودّان على ميلين مما يلي مغيب الشمس . وانظر (هرشا) .

(٢) هم قبيلة حرب المعروفة التي لا تزال مستوطنة تلك الجهات ، وقد انتقلت اليها من اليمن، وراجع تفصيل خبر انتقالها وسكناها هذه النواحي ، وحروبها مع من فيها في(الاكليل – ج١– ٢٩٨) للهمداني .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

جمهرة
أنساب الأسر المتحضرة في نجد

طبعة مزيدة ومنقحة

القسم الأول
(أ - ض)

تأليف
حمد الجاسر

منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر - الرياض - المملكة العربية السعودية

من العبادلة (بني عبدالله)، من تميم[1] .

الخَرَاقَا

واحدهم حرِيقي .

في شقراء .

من المشارقة ، من الوُهَبَة ، من تميم[2] .

الحراقيص (آل حرقوص)

في شقراء وجلاجل .

منهم الشيخ عثمان بن عبدالله بن عثمان بن أحمد بن بشر (١٢١٠ ـ ١٢٩٠) مؤلف « عنوان المجد في تاريخ نجد » .

هم أبناء حُرْقوص ، من بني زيد[3]

حَـرْبُ

قبيلة كثيرة الفروع من العرب القحطانية . تنسب إلى حَرْب بن سعد بن سعد بن خولان بن عَمْرِو بن الحاف بن قضاعة .

وقُضَاعة معروفة النسب .

وقد أوضح الهمداني نسب قبيلة حرب إيضاحاً مُفَصَّلاً وذكر طرفاً من أخبارها في الجزء الأول من كتاب « الاكليل[4] » .

أما ما ذكره غيره ـ كابن حزم[5] ومن جاء بعده ـ من أنهم من بني هلال بن عامر من قيس عيلان فلا يعوّل عليه، لأن الهمداني أقدم

---

(١) « العرب » س٢٢/٤٢٧ .

(٢) وفي كتاب « منهاج الطلب » للقاضي ص ٢٣ : الحراقا بشقراء وعنيزة .. الصحيح أنهم من عنزة .

(٣) « العرب » ٢٢/٥٠٤/٨٤٤ .

(٤) من ص ٢٩٨ إلى ص ٣١٤ ـ الطبعة الأولى .

(٥) « جمهرة أنساب العرب » ص ٢٦٢ الطبعة الأولى .

الهمداني ورأيه في نسب حرب

بين مؤيديه ومعارضيه

إعداد

فائز بن موسى البدراني الحربي

الطبعة الأولى

١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

(٣) تعليق على البحث السابق

بعد ما نشر الشيخ أبو عبدالرحمن الظاهري مقاله السابق الذي تحامل فيه كثيرًا على الهمداني وكتابه الإكليل، وحاول تفنيد آرائه ومعلوماته، كتب الشيخ حمد الجاسر تعقيبًا علق فيه على آراء الظاهري ودافع فيه عن الهمداني، وأوضح فيه صحة الكثير من معلوماته وضعف الكثير من استدلالات الشيخ أبي عبدالرحمن أو بطلانها، كما أوضح فيه موقفه من مسألة نسب حرب. وهذا نص ما كتبه علامة الجزيرة[1] رحمه الله:

(حين بعث إليّ أخي الأستاذ أبو عبدالرحمن بن عقيل هذا البحث، خيَّرني بين أمرين، نشره أو عدم نشره، وكدت حين قرأت فاتحته (أكاذيب الهَمْداني)، ثم قول الأستاذ أبي عبدالرحمن: (إن الهَمْداني بِعُرْف المحدثين كذاب وضاع)، كدت أسارع لقذفه بين ما أرمي به مما لا أعبأ به، غير أنني فكرت مليًّا، فرأيت أن لا أقابل تحية هذا الأستاذ الكريم وهديته لي ولإخواني ممن كانت صلة الهمداني بقبيلتهم من بواعث النيل منه، يضاف

---

(١) (تعليق على هذا البحث)، مقال بقلم الشيخ حمد الجاسر، نشره في مجلة العرب، س٣٠، ج١، ٢، إصدار شهري رجب وشعبان، سنة ١٤١٥هـ ص ص(٧٧-٨٠).

إلى هذا أن الأستاذ أبا عبدالرحمن لم يقل ما قال في حق الهمداني إلا بعد دراسة وتروٍّ، ولا بد أن يكون غيره من الباحثين له موقف مماثل لمثل موقفه، فرأيت نشر البحث مع إضافة تعليق موجز لإيضاح رأيي حوله:

١- يدرك الأستاذ الفاضل كما يدرك غيره أنَّ وصف عالم جليل بمثل تلك الأوصاف اعتماداً على مجرد الاستنتاج، ليس مما يقبل على عِلاَّته، فعلماء الجرح والتعديل من المحدثين عندما يصفون راوياً بمثل تلك الأوصاف يدللون على ما حدث منه من ذلك، وليس من اليسير التساهل في مثل هذا دون أن تثبت أدلة قاطعة على اتصاف ذلك الشخص بشيء من الصفات التي نسبت إليه.

٢- الهمداني عاش في عصر وفي قطر كانت تتنازع النفوذ فيهما ثلاث فرق متعادية، يحارب بعضها بعضاً، فرقة خاضعة للأمراء المحليين من أهل البلاد كَآل يُعْفِرَ وغيرهم، وأخرى ناشئة يتولى زعامتها الإمام الهادي وأتباعه، وفرقة ثالثة وهي فرقة القرامطة أتباع علي بن الفضل، وتوجد فرقة رابعة قوامها الأبناء من بقايا الفُرس الذين كان لبعض ذوي النفوذ من الأعاجم في الدولة العباسية في ذلك العهد بهم من الصلة ما يحملهم على مناصرتهم.

من هنا ولكون الهَمْداني ذا صلة بالأمراء المحليين غير اليعفريين، ولأنه كان متأثِّراً بما كانت تعيشه البلاد من فرقة، وتغلغل أفكار

وآراء يراها طارئة ومضرة ببلاده، مع ما يتصف به من غزارة علم وسعة معرفة، كانت بعض آرائه على جانب من التطرف مّما أثار كراهية الآخرين وحقدهم، وجرَّ عليه من الويلات والمصائب ما هو معروف.

وكان من أثر ذلك ما يبدو من خلال مؤلفاته من إشادة بفضل القحطانيين، وتقديمهم على غيرهم، بل محاولة إظهار بعض مساوئهم بمظهر حسن، لا يتفق مع الواقع المعروف.

ومع ما اشتهر عنه من ذلك؛ أي من تعصبه لقومه تعصباً يدفعه في بعض الأحيان إلى ما يُحاذر منه كإيراد بعض الأخبار الباطلة، أو رواية بعض النصوص الشعرية رواية تخالف الرواية المشهورة، إلا أن جميع ذلك مما لا يتصل بالأمور الشرعية، بل يقتصر على الأخبار والحوادث التاريخية.

٣- لقد عرف متقدمو العلماء فضلَ الهَمْداني فيما تصدى لجمعه من تاريخ بلاده، بل من تاريخ العرب عامة وجغرافية بلادهم، وأشاد أولئك العلماء بفضله، واستفادوا من علومه، لا في علم الآثار الذي يعد الهمداني فرداً بين علماء العرب فيه، ولا في علم الفلسفة الذي وصفه صاعد الأندلسي في كتابه "طبقات الأمم" بقوله عن العرب: (**وأما علم الفلسفة فلم يمنحهم الله شيئاً منه، ولا هيأ طباعهم للعناية بقوله**

ولا أعلم أحداً من صميم العرب شهر به إلاّ أبا يوسف يعقوب بن إسحاق الكندي، وأبا محمد الحسن بن أحمد الهمداني).

ويضيف صاعد في وصف الهمداني بأنه: (محيط بمباحث الفلسفة عن أصل العالم وقواعد المنطق والكلام).

وأدرك أولئك العلماء فضل الهمْداني، وتميزه في علم التاريخ الذي يُعد علم الأنساب من فروعه، وهو ما اتخذ منه الأستاذ ابن عقيل مدخلاً للطعن في الهمداني، فقد قال الحافظ عبدالغني بن سعيد الأزدي (٣٣٢ - ٤٠٩هـ) شيخ حفاظ الحديث بمصر في عصره، كما ذكر ابن خلّكان وغيره، قال هذا العالم الجليل عن الهمداني: (عليه المعوّل في أنساب الحميريين) - رسم (قرأ) في "تاج العروس". ولهذا نجد علماء الأندلس يعنون بآثار هذا العالم، فينقلونها في حياته إلى ذلك القطر، وينتفعون بها ويلخصونها في مؤلفاتهم، ويعوّلون عليها.

وليس المقام مقام إشادة بما للهمداني من أثر في الثقافة العربية بصفة عامة، ولكن لإيضاح أن هذا العالم الجليل لا ينبغي أن توجه إليه تلك الصفات السيئة، وهو كغيره من البشر ليس معصوماً، ولكن له حرمة لعلمه وفضله، ولأنه لا يسوغ وصف أي امرئ لم يثبت بدلائل قطعية عنه ارتكاب ما يوجب وصفه من الأفعال المزرية ليحذر منه.

٤- لقد كان علم النسب عند الهمداني هو الباب الذي ولج منه الأستاذ أبو عبدالرحمن، فالهمداني نسب قبيلة حرب إلى خولان من قحطان، وأفاض الحديث عن هذه القبيلة في الجزء الأول من "الإكليل" وذكر انتقالها من اليمن واستقرارها في الحجاز.

من هنا ولج الأستاذ للنيل من هذا العالم الجليل، اعتماداً على ما قرأه في كتاب شيخه ابن حزم عن نسب حرب، وأنهم من بني هلال.

لا داعي للحديث عن كتاب ابن حزم في النسب، ولا عما أورده الهمداني. ولكن فات أبو عبدالرحمن - وفقه الله - أن من العلماء من سبق الهمداني بنسبة تلك القبيلة إلى اليمن، وباستقرارهم في القرن الثالث الهجري في الحجاز، فهذا أبو زيد البلخي: أحمد بن سهل (٢٣٥/ ٣٢٢هـ) صاحب كتاب "صور الأقاليم" يقول في الكلام عن وَدَّان: **(وَدَّان من الجحفة على مرحلة، بينها وبين الأَبْوَاءِ على طريق الحاج، في غربيها ستة أميال، وبها كان في أيام مقامي بالحجاز رئيس الجعفريين - أعني - بني جعفر بن أبي طالب، ولهم بالفُرْع والسائرة ضياع كثيرة، وعشيرة وأتباع، وبينهم وبين الحسينيين حروب ودماء، حتى استولى طائفة من اليمن يعرفون ببني حرب على ضياعهم، فصاروا حرباً لهم فضعفوا)**. انتهى.

وهذا ابن خلدون في تاريخه - (٤/ ٢٣٢) - في كلامه على ولاة المدينة يقول: **(وترددت ولاة بني العباس عليها، والرئاسة فيها بين بني حسين وبني**

جعفر، إلى أن أخرجهم بنو حسين، فسكنوا بين مكة والمدينة، ثم أجلاهم بنو حرب من زبيد إلى القرى والحصون، وأجازوهم إلى الصعيد، فهم هنالك إلى اليوم، وبقي بنو حسين بالمدينة). إلى آخر ما ذكر من حوادث القرنين الثالث والرابع الهجريين في المدينة عند تنازع ولايتها بين الجعفريين والحسينيين، وما حدث بينهم من حروب وفتن، انتصر فيها آخر الأمر الحسينيون، بعد أن انتشرت قبيلة حرب فيما بين المدينتين الكريمتين، واتصلت بالحسينيين وصاهرتهم، فأعانتهم على نزع ولاية المدينة من الجعفريين.

وعلى فَرْض أن الهمداني أول من قال بهذا مع تفصيله لخبر هذه القبيلة بما لا نجده عند غيره، أبقول ابن حزم وغيره من النسابين البعيدين عن بلاد العرب نَصِمُ الهمداني بتلك الوصمة السيئة وصمة (الكذب والوضع)؟ مع أن الباحث سيجد في مؤلفات علماء الأندلس ممن هم أشد عناية في علم الأنساب من ابن حزم، مثل الرشاطي، وبعده عبدالحق الإشبيلي الذي كان الأستاذ ابن عقيل كثير الاهتمام بمؤلفاته، نجد هؤلاء نسبوا قبيلة حرب إلى خولان؟

ففي مختصر الإشبيلي لكتاب الرشاطي الورقة الـ(٣٠) من المخطوطة الأزهرية الوحيدة ما نصه: (**الحربي في قبائل، ففي خولان القضاعية حرب بن سعد بن خولان، وفي همدان: حرب بن عبدالله بن وادعة**).

ومثل هذا في مختصر كتاب الرشاطي لعلي بن أحمد الحريشي الفاسي، المتوفى فيما بين سنتي (١١٤٣ و١١٤٥هـ) - "العرب" س٢٧ ص٥٦٦ - الورقة الـ(٢٧).

٥- وتحامل الأستاذ ابن عقيل على الهمداني في إيراده ترجمة محمد بن أبان الخنفري، وهي ترجمة أوردها الإشبيلي بنصها فقال في الورقة ال(٤٣) من المخطوطة: (**الخنفري في حِمْيَر ينسب إلى خنفر، وهو لقب لأبي زرعة الحارث، ثم أوصل نسبه إلى حِمْيَر الأصغر بن سبأ الأصغر - وقال: منهم: محمد بن أبان بن حريز بن أبي حُجْر بن زرعة بن عمرو بن زيد بن عمرو بن حجر بن أبي شَمِر بن عبد شمس بن سبأ بن خنفر، ولد سنة خمسين ومات سنة خمس وسبعين ومئة، قال: لم يكن في عصره مثله نجدة، وكرماً، وذماماً، وفصاحة، وحسن جوار ولين عريكة، مع شدة العارضة، وحمى الأنفة، وبعد الهمة**).

٦- أكتفي بهذه الملاحظات التي أردت منها تقديم ما كتبه باحث أُجِلُّه وأقدره لعلمه، ولحرصه على البحث المجد، الموصل إلى حقائق الأمور، راجياً أن تكون من الحوافز التي تدفعه إلى مواصلة البحث والدراسة في هذه الجوانب المتعلقة بحياتنا المعاصرة. والله الموفق).

انتهى ما كتبه: حمد الجاسر

***

(١٢) القول الفصل!

بنو حرب وصلتهم بولاة المدينة[١]

بعد أن كثر الأخذ والرد حول موضوع نسب حرب، نشر الشيخ مقالاً قيمًا ومفيدًا حول هذه المسألة، ويوضح موقف الشيخ الجاسر من هذه القضية وتأييده لمعلومات الهمداني، ورده على من قال بقحطانية حرب، وبَيَّن الأدلة لمن التبس عليه الأمر، وهذا نص ما كتبه:

(يبدو أن الجعفريين حين استولوا على المدينة لم يكونوا ذوي سيرة حسنة مع باديتها، وأنهم لم يحاولوا تأليف أبناء البادية، وجذبهم إليهم بوسائل من الترغيب والتأليف، يتلاءمان مع طباع البادية، وهي طباع تتصف بالنقاء وسلامة النية، وشكر الصنيع، وبدون حسن معاملتهم - بهذه الوسائل - من الصعب إن لم يكن من المستحيل استطاعتهم السيطرة على حكم بلاد لا يزال للعادات والتقاليد الموروثة عن البادية أثرها القوي بين أهلها، ولهذا حدثت من بعض القبائل كبني سُليم وغيرهم ما سبب لأولئك الولاة كثيرًا من القلاقل والإخلال بالأمن، بحيث قتل بعض

(١) مقال للشيخ حمد الجاسر، منشور في المجلة العربية، العدد (٢٣٦) السنة (٢١)، رمضان ١٤١٧هـ، ص(١٠٠-١٠٢).

الأمراء من الجعفريين بين أنفسهم في بعض المناطق، كما تقدمت الإشارة إلى هذا، مما اضطرهم إلى الاستنجاد بالدولة العباسية، فبعثت حملة (بُغا) التركي المعروف بشراسته، وشدته وصرامته، فكان أن قدم المدينة، وقوام حملته من الجنود الأعاجم، الذين لا يحملون للعرب في نفوسهم سوى الكراهية والبغض، ولا يحسنون الطرق التي يستطيعون بها اجتذابهم إليهم، ومحاولة علاج ما حدث منهم من سوء تصرف بطرق نافعة، وإنما اتخذوا من البطش والقوة والإرهاب أقوى وسيلة لإخضاعهم وإذلالهم، لا لمحاولة إصلاحهم، واستئصال بواعث الشر من طباعهم، بطرق يسهل تقبّلها في نفوسهم، بعد إدراكهم للغاية منها، من الحفاظ على كرامتهم، وعدم كسر عزة نفوسهم، بأنواع الذل والإهانة.

ولقد كان لعميد الجعفريين محمد بن يوسف الذي كان دليل (بُغا) ومستشاره أو المشارك في تلك الحملة، كان له تصرفات أحدثت أعمق الأثر بالإضرار بتلك القبائل لا التي حدث منها ما حدث، بل امتد ذلك الضرر إلى جل القبائل في (نجد) مما أوغر صدور أبنائها، وملأ نفوسها بالحقد والبغضاء والضغينة له، ولأحفاده الذي تولّوا الأمر بعده، ولولا الضعف الذي أصيبت به تلك القبائل التي توغلت الحملة في بلادها، وألقت القبض على رؤسائها ممن قتلوا أو ماتوا في السجون، لما استقر للجعفريين من قرار في ولاية المدينة.

هذا فليس من المستغرب عندما قام الحسينيون بمنازعة أولئك على الولاية، ألا يوجد من أبناء تلك القبائل من لا يتمنّى زوال ولاية الجعفريين، فضلاً عن مناصرتهم، وسبقت الإشارة - عند الكلام على بناء سور المدينة، في عهد أحد ولاتها منهم - أن الصولي في كتاب "الأوراق" ذكر في سنة ٢٦٣هـ إغارة بني كلاب على مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم، فقتلوا رجالاً وسلبوا نساءً وصبيانًا مما دفع إلى بناء سور المدينة(١).

ويدور الزمان دورته فيقذف جنوب الجزيرة (اليمن) بموجة من موجات هجرة القبائل، التي ضاقت بها بلدها، فانتقل أحد فروعها ليتخذ طريقه إلى هذه البلاد، فيما بين المدينتين الكريمتين، ليكون كيانًا جديدًا لقبيلة حديثة تندمج فيها فروع من السكان الأقدمين - كما هو الحال لكل قبيلة طارئة - فتستقر قبيلة (حرب) على مقربة من المدينة، ويوجد بينها وبين الحسينيين من الصلة ما يكون من الحوافز التي تدفع هؤلاء للاستيلاء على ولاية البلاد، ونزعها من أيدي الجعفريين، ومضايقة هؤلاء حتى خرجوا منها.

وملخص ذلك على ذكر نسَّابة اليمن وعالمها في عصره الحسن بن أحمد الهمداني(٢) (٢٨٠هـ/ ٣٥٠هـ) تقريبًا، أن أحد فروع قبيلة خولان

(١) الحلقة السادسة، في كتاب: الأوراق للصولي.

(٢) الإكليل، ج١، ص٢٩٨ - وما بعدها - ط القاهرة سنة ١٣٨٣هـ ١٩٦٣م. وأكتفي بهذه الإشارة عن إكثار الحواشي فما نقلته محله هذا الكتاب.

القضاعية ممن كان مستقرًا في منطقة (صعدة) من اليمن، حدث بينه وبين الفروع الأخرى من القبيلة ما كان سببًا في انتقال ذلك الفرع سنة ١٣١هـ.

ومعروف أن مسير القبائل في هجرتها يتطلب التأني في السير، والمكث والإقامة فترة من الزمن، في البلاد الملائمة لما فيها قوام حياتهم، وهو ما يصلح حالة نعمهم، ولهذا لم يبلغ هذا الفرع مكان استقراره بقرب المدينة، وفيما بينها وبين مكة إلا بعد عشرات السنين، ولم ينم عدده وتتسع فروعه بانضمام فروع بعض القبائل التي كانت مستقرة في البلاد التي حلّها هذا الفرع كما هي عادة كل قبيلة مغلوبة على أرضها، من قبل قبيلة أحدث منها وأقوى، لم يتم ذلك إلا في القرن الرابع، حيث برز هذا الفرع قبيلة قوية كثيرة العدد، ذات كيان متميز، عرف باسم (حرب) نسبة إلى جد الفرع الأول وهو: حرب بن سعد بن سعد بن خولان.

وبرز من فروع قبيلة حرب هذه بنو زبيد بن الخيار بن زياد بن فياض بن حرب، قال عنهم الهمداني: (**عددهم زهاء ثلاث مئة وسيدهم في ذلك العهد – يعني سنة ٣٢٢هـ – أبو الحسين يحيى الزبيدي، صاهر إليه آل يحيى بن الحسين الحسيني بالعقيق من المدينة**)[١].

وآل يحيى هؤلاء هم سادة البيت الحسيني الذين تمكنوا – فيما بعد –

---

(١) النقل من المخطوطة، أما المطبوعة ففيها خطأ نصه: (هاجر إليه يحيى بن الحسين).

من الاستيلاء على المدينة خلال قرون عديدة، ويحيى ذو مكانة سامية لما كان يتصف به من علم وخلق وفضل، وهو من أجلة علماء المدينة، ومن أقدم من عني بتدوين تاريخها، حيث ألف كتبًا في ذلك، كان من أهم المراجع التي استفاد منها مؤلف الكتاب الذي طبع باسم "المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة" منسوبًا إلى الحربي إبراهيم بن إسحاق (١٩٨/ ٢٨٥هـ). وليس من المستبعد أن يكون كتاب "الطريق" لمحمد بن خلف بن حيان، تلميذ الحربي، كما عول على كتاب يحيى السمهودي علي بن عبدالله بن أحمد (٨٤٤/ ٩١٠هـ) في كتابه "وفاء الوفاء" فأكثر النقل عنه.

وذكر الهمداني مصاهرات أخرى بين الحربيين والحسينيين، ومن ذلك قوله عن عطاء بن محمود بن علي: **(أخته منّ الله امرأة لأبي أحمد القاسم بن عبيدالله بن طاهر بن يحيى الحسيني)**(١)، ومحمود المذكور هو سيد بني حرب سنة ٣٢٠هـ، وقال أيضًا: ومن بقايا بنات محمود امرأة أبي جعفر بن إدريس الحسيني، له منها موسى سيد شريف يقاتل مع أخواله، وقال: وأخرى أم بني موسى بن الحسن الحسيني العريضي، يعرفون بالعريضيين، ولما ذكر بني ذؤيب من ولد سبّاق بن فاحش بن حرب، قال:

(١) القاسم بن عبيدالله أحد أمراء المدينة الذين تقدم ذكرهم.

وهم أحد بني حرب حدًا، وهم أخوال أبي القاسم إدريس بن جعفر من ولد موسى بن جعفر بن محمد الرضا.

لقد قويت الصلة بين الحربيين والحسينيين بعد أن غلبت قبيلة (حرب) في أول القرن الرابع الهجري على تلك البلاد فقهرت، فتعلقت قريش بأصهارهم، وغلبوا على طريق المدينة إلى مكة فلم يسرها أحد إلا بخفارتهم، وكان المقتدر بالله يبعث طول حياته بالمال في خفارة الطريق.

ولا شك أن هذه القبيلة بعد أن بلغت ما بلغت من الاستقرار والقوة، وكثرة العدد، أصبحت ردءًا وسندًا لأصهارها الحسينيين حتى استقر أمرهم في ولاية المدينة.

وتقدم قول ابن خلدون عن المدينة: **(الرياسة فيها بين بني حسين وبني جعفر، إلى أن أخرجهم بنو حسين، فسكنوا بين مكة والمدينة، ثم أجلاهم بنو حرب من زبيد إلى القرى والحصون)**.

ووهم ابن خلدون في قوله: (بنو حرب من زبيد)، فزبيد المذكورون هنا فرع من فروع القبيلة، ولا صلة لهم بزبيد القبيلة المذحجية التي ينسب إليها عمرو بن معد يكرب، إلا بالانتساب إلى قحطان، وهذا الوهم وقع من ابن سعيد علي بن موسى المغربي (٦١٠/ ٦٨٥هـ) قبل ابن خلدون، حيث قال في كتابه "نشوة الطرب"[١] ما نصه - في كلامه على ودّان والفرع

---

(١) ٢٤١/١.

وأنه كان من منازل كنانة - قال: (وقد دثرت كنانة من تلك الجهات، وبها الآن العلويون، وبنو حرب من زبيد من اليمن).

وقال[1]: (ومن قبائل مذحج: خولان لهم بلاد متسعة في جانب اليمن إلى جانب صعدة، ومن قبائل مذحج: زبيد قبيلة عمرو بن معد يكرب، ولها صيت، وإلى الآن منها جمع كبير، قد نزلوا بين مكة والمدينة، ويقال لهم بنو حرب).

وفات هذان العالمان الجليلان أن اسم (زبيد) من الأسماء المأثورة المتداولة في كثير من فروع القبائل.

وممن سار على هذا الوهم القلقشندي أحمد بن علي بن أحمد المتوفى سنة ٨٢١هـ، فقد قال في "قلائد الجمان"[2]: (بنو زبيد وهم بنو منبّه بن صعب بن سعد العشيرة ويعرف زبيد هذا بزبيد الأكبر، وهؤلاء زبيد الحجاز، وعليهم درك الحاج من الصفراء إلى الجحفة، ومن زبيد هؤلاء عمرو بن معد يكرب).

وتحسن الإشارة إلى وهم وقع فيه كثير من النسابين، الذين نسبوا قبيلة حرب إلى بني هلال، ومنهم القلقشندي، ولعله ترسّم في ذلك خطى

---

(١) ١/٣٧٣.

(٢) ص (٩٠).

ابن حزم، حيث قال[1]: (ومن بطون بني هلال بنو فروة، وبنو بعجة، وبنو حرب الذين بالحجاز، وبنو رياح الذين أفسدوا أفريقية) انتهى. فابن حزم - رحمه الله - يؤلف عن أنساب قبائل تعيش في الجزيرة، وهو في الأندلس بعيد عنها، وكانت البلاد التي تعيش فيها تلك القبائل في حالة من الفوضى، واختلال الأمن، وانقطاع السبل، مما سبب عدم الاتصال بتلك البلاد فضلاً عن التوغل بين القبائل، ومن ثم حدث الجهل بجميع أحوالها منذ القرن الثالث الهجري طوال عشرة قرون، ومجرد وجود فرع من بني هلال باسم (حرب) لا يستلزم أن تكون قبيلة حرب منسوبة إلى هذا، فاسم حرب من الأسماء المألوفة بين العرب، ولهذا كثر استعماله، فنهى المصطفى عليه الصلاة والسلام عن ذلك بالأثر المروي عنه: «أحب الأسماء إلى الله عبدالله وعبدالرحمن، وأصدقها حارث وهمّام، وأقبحها حرب ومرّة».

ومن المعروف أن قبيلة بني هلال عاشت في عالية نجد، ثم انتقلت أغلب فروعها في منتصف القرن الخامس إلى المغرب، ولم أر فيما اطلعت عليه ذكرًا يدل على سكنى أحد فروع بني هلال في تهامة.

والنصوص المعوّل عليها لقدماء النسابين أن قبيلة حرب من قبائل اليمن، كما تقدّم في كلام أبي زيد البلخي والأصطخري، وكما فصل أنساب

---

(١) «جمهرة أنساب العرب»، الطبعة الخامسة، ط دار المعارف، ص(٢٧٥).

القبيلة وطرفًا من أخبارها الهمداني في كتابه "الإكليل" أوضح تفصيل، وسار على هذا مشاهير النسابين كالأشعري محمد بن أحمد بن إبراهيم من أهل القرن السابع الهجري في كتابيه "التعريف بالأنساب" و"اللباب"، والإشبيلي عبدالحق بن عبدالرحمن بن عبدالله الأزدي (٥١٠/ ٥٨١هـ) في مختصره لكتاب الرشاطي، والخيضري محمد بن محمد بن عبدالله (٨٢١/ ٨٩٤هـ) في كتابه "الاكتساب في تلخيص الأنساب" وغيرهم، مما لا داعي للاسترسال في الحديث عنه، إذ محله التوسع في ذكر تاريخ هذه القبيلة، وهذا مما لا يعني قراء هذا البحث.

وتتوالى السنوات والأحقاب فيخيم على العالم الإسلامي سحب كثيفة من الجهل، تكاد تخفي معالم الحنيفية السمحة وقواعدها في كثير من الأقطار الإسلامية، بحيث لم يبقَ سوى رسوم وموروثات ضعيفة الصلة بالعقائد الروحية وجوهر العقيدة الإسلامية حتى يأذن الله بانبثاق نور الهداية في هذه البلاد بدعوة الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبدالوهاب - رحمه الله - ومناصرة الدولة السعودية الأولى لهذه الدعوة والقيام بواجب نشرها، فكان لقبيلة حرب قدم صدق في الاستجابة لها، وكما قامت هذه القبيلة في أول عهدها في مناصرة الحسينيين في محاولتهم التمكن من ولاية المدينة فها هي تقوم بدور أقوى، وأعظم نفعًا، فقد كانت صلتها بدعوة

التجديد صلة إيمان، وتقبّل بقناعة وصدق واعتقاد، حيث اتجه وفدها المكون من رؤسائها آل مضيّان[1] سنة ١٢٢٠هـ[2] إلى الدرعية للوفود على الإمام عبدالعزيز ومبايعته، فيستجيب أهل طيبة الطيبة بعد هذه المبايعة، وتهدم جميع القباب التي بنيت على المشاهد، كما يفصّل ابن بشر الخبر بقوله:

(وفي أول هذه السنة بايع أهل المدينة سعودًا على دين الله ورسوله، والسمع والطاعة وذلك أن آل مضيّان رؤساء حرب، وهما بادي وبدّاي ابنا بدوي بن مضيّان ومن تبعهم من عربانهم، أحبوا المسلمين، ووفدوا على عبدالعزيز وبايعوه وأرسل معهم عثمان بن عبدالمحسن أبا حسين يعلمهم فرائض الدين، ويقرر لهم التوحيد، فأجمعوا على حرب المدينة، ونزلوا عواليها، ثم أمرهم عبدالعزيز ببناء قصر فيها، فبنوه وأحكموه واستوطنوه،

---

(١) آل مضيّان وهم من الظواهرة من المراوحة من بني سالم من حرب، مشيختهم قديمة العهد، فقد كان في القرن الحادي عشر شيخ حرب أحمد بن رحمة بن مضيّان، ويصفه العصامي في «سمط النجوم العوالي» ٥١١/٤ بأنه شيخ العرب وسلطانها سنة ١٠٧٨هـ.

(٢) لقد أوضحت في كتابي (فصول من تاريخ قبيلة حرب) أن قدوم آل مضيان للإمام عبدالعزيز في الدرعية حدث في سنة ٢١٥هـ تقريبًا، ولكن ابن بشر ذكر هذا الخبر عَرَضًا في حوادث سنة ١٢٢٠هـ لأنه كان يتحدث عن تسليم المدينة المنورة للسعوديين، والدليل أن الشيخ يذكر وفادتهم على الإمام عبدالعزيز بن محمد مع أنه لم يكن حيًا سنة ١٢٢٠هـ، بل توفي سنة ١٣١٨هـ (المؤلف).

وتبعهم أهل قبّا ومن حولهم، وضيقوا على أهل المدينة وقطعوا عنهم السوابل، وأقاموا على ذلك سنين، وأرسل إليهم سعود وهم في موضعهم ذلك الشيخ العالم قرناس بن عبدالرحمن صاحب بلد الرس المعروف بالقصيم، فأقام عندهم قاضيًا معلمًا كل سنة يأتي إليهم في موضعهم ذلك، فلما طال الحصار على أهل المدينة وقعت المكاتبات بينهم وبين سعود وبين حسن قلعي وأحمد الطيار والأعيان والقضاة، وبايعوا في هذه السنة) انتهى.

فكان لهذا الموقف من هذه القبيلة آثار وإرهاصات كانت سببًا لاستيلاء الدولة السعودية على بلاد الحجاز في ذلك العهد، مما اضطر شريف مكة الشريف غالب إلى الخضوع والمبايعة[1].

لم يعر مؤلف كتاب "الشامل في تاريخ المدينة" هذا الحدث التاريخي البالغ الأثر فيما وقع بعده من حوادث مهمة، منها استيلاء الدولة السعودية على الحجاز وما أعقب ذلك، لم يعره ما هو جدير به من الاهتمام، بل عبر عن مضمونه الذي اقتبسه من "تاريخ ابن بشر" بجمل يفهم منها تهوين شأنه[2].

كأن يذكر بأن (آل مضيان فرع من فروع قبيلة حرب)، وهذا صحيح، إلاّ أن هؤلاء هم رؤساء حرب كما هو معروف، وكما ذكر ابن

---

(١) انظر «العرب»، س٢٠، ص(٤٥٥).

(٢) انظر ج٢، ص(٤٢٨) وما بعدها.

بشر، وفرق بين مدلول الكلمتين، كما ذكر: (**أن عددًا من أتباع الدعوة الإصلاحية في عوالي المدينة شرعوا في بناء حصن طيني**)، وما هكذا عبر ابن بشر، وإنما قال في ذكر الذين استجابوا لقبول الدعوة متأثرين بما فعل آل مضيان: (**فأجمعوا على حرب المدينة، ونزلوا عواليها، وأمرهم عبدالعزيز ببناء قصر، فبنوه وأحكموه، وضيقوا على أهل المدينة، وأقاموا على ذلك سنين، فلما طال الحصار على أهل المدينة وقعت المكاتبات بينهم وبين سعود**)، بينما يعبّر المؤلف بقوله عن أعيان المدينة وقادة فرق عسكرها: (**استقر رأي الجميع على مكاتبة الأمير السعودي سعود بن عبدالعزيز مباشرة، وتجاوز المحاصرين**)، ثم يضيف بأنه (**خرج وفد صغير من المدينة إلى الدرعية**) فأتى بالأمان لأهلها.

ولا أدري من أين استقى خبر هذا الوفد؟!

ومهما يكن فنظرة المؤلف الكريم إلى ما كان يحدث من تصرف أبناء البادية - بصورة عامة - نظرة يعوزها البحث العميق وعدم التأثر بما سار عليه كثير ممن كتب تلك التصرفات دون البحث عن الأسباب الدافعة إليها، وللمؤلف مواقف كثيرة عند بعض حوادث البادية لا أريد التوسع في الكلام عنها، ولا شك أنه هو وأمثاله يدركون أن تلك الحوادث التي تبدر من أبناء البادية لها من عمق الصلة بتاريخ هذه البلاد من أقدم عصورها، ما

يدعو إلى التغلغل في البحث لمعرفة أسبابها، للوصول إلى معالجتها معالجة نافعة.

ولا شك أن من أسباب ما يجري من انحراف في سلوك أبناء البادية في بعض الأحوال، يرجع إلى أمرين أساسيين، هما الجهل والفقر، وما لم يستأصل هذان الداءان المستعصيان استئصالاً يجتث أصولهما، فإن ما يؤخذ على أبناء البادية من سوء تصرف لن يزول، ومتى هيأ الله لأولئك حكومة تدرك إدراكًا جليًّا أثر هذين الداءين، وشدة فتكهما في المجتمع فتسعى - بمختلف الوسائل - للقضاء عليهما، فإن كل ما يؤخذ على أبناء البادية من سوء تصرف في أفعالهم سيزول، فهم كغيرهم من سكان هذه البلاد، بما يتصفون به من حب الخير، وحرص على المشاركة في جميع الوسائل التي بها تتقدم بلادهم ويعلو شأنها.

وليس من المبالغة القول بأن نفوس أبناء البادية قد جبلت على محبة الخير وعلى التخلق بالأخلاق الفاضلة لصفاء فطرهم وعدم تأثرها بما تأثرت به فطر غيرهم، مما يدفعهم إلى تقبل كل ما يراد منهم من أفعال نافعة تقبّل العارف لمنفعتها، المستميت في سبيل مناصرتها، كما حدث لأوائلهم في سابق عهدهم، عند ظهور الإسلام، ولأواخرهم في القرن الماضي حين قام الملك عبدالعزيز - رحمه الله - بالسعي لتوحيد المملكة، فكانوا من أطوع

جنده، وأسرعهم إلى الاستجابة لكل أمر فيه إصلاح وصلاح، وأشدهم وأقواهم اندفاعاً في سبيل تحقيق ذلك.

أجل، فقد حقق الله الأمل بانبثاق فجر جديد على هذه البلاد بقيام الملك عبدالعزيز - رحمه الله - بتوحيد أجزائها، فإن من أسمى غاياته توطيد قواعد الأمن، وإزالة ما بين السكان من أسباب الاختلاف، فانقشع بذلك ما مُنيت به البلاد من فرقة وفقر وتباغض وتقاطع، فأصبح جميع سكانها حاضرة وبادية إخوة متحابين فيما بينهم، متعاونين في جميع وسائل حياتهم متشاركين في ذلك، متجهين لغاية واحدة تعْلِي قدرهم وترفع شأن أمتهم، متساوين في جميع الحقوق والواجبات، يحسون بإحساس واحد، ويتجهون لوجهة مشتركة، ويتطلعون بواسع آمالهم، وبما يستطيعونه من أفعالهم لتصبح بلادهم عالية الشأن في جميع مرافقها الحيوية في ظل هذه الحكومة الرشيدة التي تسعى - ما وسعها السعي - لكل ما فيه الخير الشامل للجميع. والله الموفق)..

كتبه: حمد الجاسر

***